جمال عبد الناصر يرسم خطوط الثورة

- يوم السلام وسلطان الظلام..
- الجيش والشعب مظلومان!
- الملك والأحزاب فى خدمة الاستعمار.
- من الذى تقدم لحماية الملك..؟
- الفساد والرجعية والحزبية البغيضة.!
- لابد من قوة تقضى على الإقطاع..

www.anwarsadat.org

يستطيع قارئ هذه الصفحات أن يبدأ من هنا فصلا جديدا من تاريخ هذه الثورة.

وهو فصل يختلف عن كثير عما تضمنته الصفحات السابقة.. فحيث قام التمهيد الأول، للثورة، على أساس أكثره عاطفى، وحيث استطاعت الظروف والأحداث والتقلبات السياسية أن تكون عاملا اساسيا فى دفع خطواتنا الأولى وتوجيهه.. وإملاء أعمال واتصالات معينة علينا.. فإن الشطر الثانى من هذا التمهيد الطويل للثورة، أو الفصل الثانى الذى نبدأ تاريخه اليوم يتميز أول ما يتميز بسيطرة العقل على كل خطواته، التى بدأت تقوم على أساس معين مدروس، والهدف محدد مدروس.. وفى تتابع منطقى، لا صلة للأحداث الوقتية به، اللهم الا صلة العوامل المساعدة على زيادة الوعى بين عناصر الشعب والجيش، وبعث اليقظة الحقيقة، واشعار الأفراد بأن القضية قضية كل منهم.. واشعارهم.. بضرورة الثورة..

ولن كانت الصفحات السابقة، قد حوت أعمالا، واتصالات، أساسها انفعالات فردية أو شبه فردية بالاحداث.. فلن تضم الصفحات التالية سوى أعمال، تنظيمية، تنتفى منها الروح الفردية ، ويسيطر عليها عقل التشكيل المنظم، ونتائج المناقشات والأبحاث بين العناصر التى اجتمعت وتآلفت، وحددت أهدافها.

قد آن وقت العمل الجماعى المنظم.. وبدأ جمال عبد الناصر يخرج من صمت المراقب، إلى حركة القائد الذى يعد العدة لاكبر معركة تنتظرها مصر منذ غلبت على أمرها تحت أقدام الطغاة...

يوم السلام

لو قدر لهذا الفصل أن يوضع تاريخ لبدئه.. لامكن أن يقال أنه بدأ فى 8 مايو 1946، نحدد هذا التاريخ، ولا نقصد به أن أعمالا معينة بدأت فى هذا اليوم بالذات.. وانما نعنى فقط أن هذا اليوم، قد وضع حدا لفترة من تاريخ العالم، تبدأ بعدها فترة أخرى.. ومصر، كجزء من العالم، تتأثر حتى بأحداثه الكبرى كما أن ظروفها الداخلية، كانت لابد أن تتاثر، بهذا اليوم أيضا.

أنه يوم انتهاء الحرب فى أوربا...

اليوم الذى أنتظره العالم طويلا، وخدع به العالم كثيرا.

فقد سمى يوم السلام!

وقد سمى يوم النصر!

واعتقد الناس، أو هكذا ضللهم سادة الغرب، أن العالم قد بدأ حقبه حقيقة من السلام.. وأن قوى الخير قد انتصرت فعلا على سلطان الظلام، وأن هذا الخير سيعم جميع الأمصار والشعوب، وأن المواثيق والعهود التى كانت تبرم وتقطع خلال فترة الحرب، سيصبح منذ اليوم حقائق بارزة فى تاريخ الإنسانية.

ولم يقل أحد لهم أبداً، أن سلطان الظلام قائم فى نفس القوى التى كانت تحاربه، وأن المواثيق والعهود، قد أعدت لأحاديث الدعاية فى أذاعاتها ونشراتها وأفلامها وصحفها، وأنها ستصبح تاريخا بمجرد انتهاء الحرب. آلم نكن قد سمعنا بميثاق الاطلنطى وألم نكن قد قرأنا عنه فى مئات من الصور المختلفة ، وألم تكن نشرات الدعاية واذاعاتها تقول حينئذ أن هذا الميثاق جب أن تتضمنه محفوظات تلاميذ المدارس، لانه دستور الحياة والكرامة والعدالة التى تمخضت عنها الإنسانية بعد أبشع مجزرة شهدتها الحياة.

الفرصة المناسبة

كنا نسمع هذا، كما كان العالم يسمعه، وكنا ننتظر اليوم الذى تضع فيه الحرب أوزارها، لا أيمانا منا بصدق هذه الدعايات، ولكن لنبدأ خطى جديدة على أرض واضحة المعالم.

فقد كان انتهاء الحرب عندنا يعنى أشياء كثيرة...

يعنى تبلور الأوضاع بصورة لا تسمح بالفروض ولا المخادعات ولا الاحتمالات.. وانما تسمح بشيئين أثنين...لا وجود لثالثهما العمل لمصر.. والعمل ضد مصر.

ولكل من العلمين طريق واضح، ومظاهر لا نخفى على أحد.. وليس بين الطرفين طريق وسط..

هذا هو أول ما كان انتهاء الحرب يعنيه بالنسبة إلينا.

وكان يعنى شيئا آخر..

كان يعنى قرب انتهاء الأحكام العرفية.. الكابوس اللعين الذى وضع مصائر الأحرار تحت رحمة مخابرات الإنجليز وجواسيسهم والذى كان يتهدد كل من يحاول لأن يخطو خطوة وطنية واحدة خلال إعلانها..

وأن لم تكن هذه هى الفرصة المناسبة لبدء العمل المنظم، فليست هناك فرصة أخرى...

تجارب السنين

ولمح جمال عبد الناصر هذه الفرصة التى كان قد فكر فيها طويلا خلال الحرب.

ثم بدأ ينظم خطوطه، ويحدد أعوانه، ويرسم خطواته لهدف كبير وكان جمال الذى يعمل، هو جمال الناضج الذى مرت به تجارب السنوات الست الكثيرة، سنوات الحرب، وما تخللها من أحداث داخلية وخارجية، وما رآه فيها من هزات عنيفة، ومن محاولات وطنية وأخرى خائنة.. ومن بطولات زائفة، وأساليب خادعة ومن أوضاع غريبة حلت بالجيش، أو فرضت عليه، ومن دعايات مثيرة، غرق فيها الشعب وتهدف كلها إلى تضليله لكي يكسب الاستعمار وأذنابه من الخونة واصحاب المصالح والحكام الفاسدين.

وكان جمال يرى أن هذه الظروف والأحداث والصور قد مرت بغيره مثلما مرت به.. وأن هذا الغير قد تأثر بها والفعل، وأكتسب وعيا جديدا، نشأ فى فترة الحرب وآن له أن يتجمع.. وأن يعمل وعيا فى كثير من عناصر الشعب.. ووعيا فى كثير من عناصر الجيش.. وعيا لابد أن يحرك أصحابه إلى عمل معين أو اتجاه نعين.. ولا بد لكى تنجح خطى أصحابه، أن تتجمع وأن تتوحد وأن تتحدد أهدافها.

الجيش والشعب

وكان أيضا يرى عقبات فى الطريق.

فعلى الرغم من ثقته بأن العناصر الواعية فى الجيش، تسيطر عليها نفس الأفكار والمبادئ التى تسيطر على العناصر الواعية فى الشعب.. وعلى الرغم من شعوره بأن ما يسخط منه أفراد الشعب وجماعاتهم هو عين ما يسخط منه ضباط الجيش وجنوده.. وعلى الرغم من ثقته بأن المعركة التى يجب أن تبدأ هى معركة الجيش والشعب معا..الا أنه كان يشعر بانعدام ثقة الشعب فى الجيش وانعزال الجيش انعزالا ظاهرا عن قضايا الشعب..

فقد كانت صورة الجيش فى ذلك الوقت هى صورة" الكرباج" الذى يلهب به الطغاة ظهور أبناء الشعب، هو سيف التهديد الذى يملكه الحاكم ويملك أن يسخره ضد هذا الشعب كلما ثار أو سخط أنها الصورة التى رسمها الإنجليز وشاركهم فى إظهارها.. ووضع الإطار حولها، حلفاؤهم: القصر، والأحزاب.

وأصبح الشعب لا يخشى الملك، لا لانه مقدس، أو لان القانون يحميه، ولكن لانه القائد الأعلى للجيش، والمسيطر على تحركاته، والآمر فيه والناهى...

والجيش مظلوم...

والشعب مظلوم...

فلم يكن جيش مصر أجنبيا عن أبنائها، لم يكن جيشا من المماليك أو المرتزقة.. ولكنه كأن جيشا من الشعب.. مشاكله هى نفس مشاكل الشعب.

ولم يكن الشعب يجهل هذه الحقيقة ولكنه كان يضلل عنها بأساليب كثيرة وفى مناسبات متعددة، تجعله يخشى جيشه، وكأنه جيش احتلال.

كانت هذه هى الحقيقة الأولى فى الموقف.. أن الشعب يعتقد أن هذا الجيش هو جيش فاروق لا جيشه.. وأنه يائس من إمكان القيام بالثورة الكبرى، لان الجيش عندئذ لن يثور فى صفوفه، ولن يقاتل عن مطالبه. وأنما سيقف فى وجه أبنائه يضربهم بالحديد والنار، ويحطم معنوياتهم، وينصر عليهم الظالم والطاغية والمحتل.

وكان حاجزا ليس من اليسير تحطيمه، فليس من ليسير أن تخلق ثقة وأيمانا، حيث لاثقة ولا أيمان.

الحلف الكبير

وكان هناك إلى جانب هذا العامل حلف آخر كبير.. جمعت عناصره مصالح مشتركة كثيرة.

وكان هذه الحلف، يجمع بين الملك والأحزاب،والرجعية ويعمل بوحي الاستعمار، أو يعمل لصالحه.

وقد لا نذهب وراء الاستنتاجات كثيرا.. فنتم عناصر هذا الحلف بالخيانة العامدة.. ولكن شيئا فى الوجود لا يستطيع أن ينفى عن هذه العناصر جميعا، أنها كانت تخدم الاستعمار، ضالة.. أو عامدة فإما الملك .. فقد كان عامدا متعمدا فاهما لما يعمل حق الفهم كان الملك قد عرف تماما أن الهوة سحيقة بينه وبين هذا الشعب.. وكان الذين حوله، من الحاشية الفاسدة والرواد الخائنين.. قد أقنعوه تماما، بأن كل تقرب من ناحيته إلى الشعب، سيزيد من فهم هذا الشعب فى مطالبه..

وأن هذا الشعب أن لم يضرب بالسياط سيتغول، ويتحول إلى خطر داهم عليه وعلى أسرته وعلى عرشه أيضا..

من يحمى الملك؟

وكان حسنين يقول بلسان الملك،" **لقد عرض الملك عرشه فى الطريق، فلم يتقدم لإنقاذ هذا العرش أحد من أبناء شعب مصر**"...

وهو يعنى يوم 4 فبراير، حينما تحدى الإنجليز.. فلما أنتصر الإنجليز عليه وعين النحاس رئيسا للوزراء، هتف الشعب للنحاس ولم يلتقط عرشه الذى ألقى الإنجليز به .. فى الطريق.!

وكان حسنين يبرر بهذا الملك، الذى بدأ يبدو من تقربه للإنجليز، وخضوعه لأوامرهم وبيعه نفسه لهم.. فالملك بحاجة إلى من يحميه.. وقد أثبت الشعب، فى 4 فبراير أنه غير مستعد لحماية الملك.

أحزاب الأقلية

وكان فى هذا الحلف مع الملك.. أحزاب الأقلية، التى لم تحلم يوما بالوصول إلى مقاعد الحكم عن طريق انتخابات نزيهة بريئة من التزوير، وكانت هذه الأحزاب منذ نشأت تعرف أن طريقها إلى الحكم هو الإيقاع بين حزب الأغلبية وبين الملك، والاعتماد على قوى السلطة المحتلة والسلطة الداخلية فى حكم البلاد.

وكانت لذلك تأتى إلى الحكم بغيضة كريهة، وتذهب عنه مشيعة بلعنات شعب مصر....

ولكن الطريق قد دخلت عليه عوامل جديدة بعد 4 فبراير...وجدت هذه الأحزاب فرصتها لتضليل الشعب بما تزعمه من وطنية الملك، ومن أنها تأتى إلى الحكم، لتنتقم للوطنية المصرية من قبول حزب الأغلبية الحكم على حراب الإنجليز.

وبهذا بدأ الشعب يتعرض لحملة تضليل كبير مثيرة تشنها عليه أحزاب الأقلية، متحالفة مع القصر.. مع الملك وأعوانه ورواده وحاشيته.

الفساد...

أما حزب الأغلبية.. فقد أغرق فى الفساد، وداخلته شياطين الشهوة فضم إليه الإقطاعيين والسماسرة .. وربط بمصالحهم مصيره، وبدأ هو الآخر ينعزل عن تمثيل الشعب.. تمثيلا صحيحا يقوده به إلى أهدافه الحقيقة.

لقد تمثلت ديكتاتورية الأغلبية فى ابشع صورها وأصبح من العبث التفكير فى إصلاح هذا الحزب بعد أن قوض بنفسه الأساس الشعبى الذى يقوم عليه...

... والرجعية

ولم يكن هذا وحده هو كل شئ فى الجانب الآخر، كانت حملة الرجعية المتجرة بالقيم الروحية لشعب مصر.

وشعب مصر مؤمن متدين ولكن الأيمان والتدين شئ، ومحاولة استلا هذه الحقيقة فى الشعب، استغلالا يحولها عن الغاية السامية منها تحويلا كاملا.. شئ آخر.

فالأيمان والتدين خيران أصيلان فى طبيعة شعب مصر.

والاتجار بالدين شر مستطير يخلق الدين أهدافا غير أهدافه، ويجعل منه عاملا رجعيا يستتبع الجمود والتحجر، ويفسد الجماعات .

أمراض الشعب

ولكن هذا هو الموج المتلاطم الذى كان يحوط سفينة الشعب.

استعمار قائم.. أحلاف من القصر والأحزاب والرجعية.. ودعايات تنصب انصبابا فوق رؤوس هذا الشعب المسكين، وكلها تحاول أن تنحرف به عن دوره الحقيقى فى المعركة إلى أدوار كثيرة أخري تخدم أهداف الاستعمار وحلفائه المستترين والظاهرين.

وفوق هذا كله.. فهناك جبهة الشعب أيضا، وما تعانيه من أمراض أمراض وراثية بعيدة الغور متأصلة الجذور.

أمراض أورثه إياها ذله الطويل تحت سياط الإقطاع والملوك والطغاة وجيوش الاحتلال.

أمراض منها التردد، ومنها النفاق ومنها الاستسلام للواقع، ومنها الخوف.. ومنها، ومنه... ومنها

أمراض لا سبيل إلى بعث هذا الشعب، الا باستئصالها، ولا سبيل إلى استئصالها الا بإزاحة أسبابها من الطريق.

لابد من قوة

فلابد أذن من قوة تعمل لإزاحة هذه الأسباب...

لابد من قوة تزيل من البلاد الملكية الطاغية لتزيل بعد ذلك آثارها

ولابد من قوة تقضى على الإقطاع قضاء مبرما لتستطيع بعد ذلك أن ترفع مستوى الشعب، ومعنوياته، وتزيل منها أثار الخضوع والخنوع والاستسلام والخوف...

ولا من قوة تقود الشعب كله للذود عن حقوقه وحريته المقدسة التى سلبها منه الاستعمار قرونا حتى فقد الشعب الأمل فى الخلاص منه .. أو كاد يفقد هذا الأمل.

ولابد من قوة تستطيع أن تقف فى وجه الأحزاب التى تستغل الشعب لتخدم مصالحها ومصالح الإنجليز، وتقف فى وجه الرجعية التى تضلل الشعب، وتنحرف به عن طريقه الذى رسمته له فطرته السليمة طوال القرون الماضية، وتثبت أقدامه فى طريق التطور والنهوض.

لابد من قوة تصنع كل هذا.. لنصل بالشعب إلى الأمل الذى يراوده : أن يحكم نفسه بأيدي أبنائه، وأن تكون له بنفسه الكلمة العليا فى مصيره.

ولم تكن هناك قوة تستطيع أن تقوم بهذا العمل.. غير الجيش.

الجيش الذى لا يثق به الشعب، والذى يعتبره سوطا يلهب ظهره بأمر الطغاة، والذى استطاع الاستعمار وأعوانه أنم يعزلوه عزلا كاملا عن الشعب الذى ينبت منه.

هذا الجيش الذى كان يطمع الشعب فى معونته، ولكنه طالما وجد نفسه منأى ومنعزل عنه.

وبدأ جمال يرقب هذه الجبهات، الأعداء، والملك، والأحزاب، والرجعية، والانحلال الذى بدأ ينخر فى عظام الأمة...

ووضع جمال عبد الناصر هذه العوامل والقوى جميعا أمام ناظريه... ثم بدأ....

بدا يرسم الوسيلة.. ويضع الخطوط، ويعد التنظيم الذى يستطيع أن يقود الجيش على معركته الكبرى باسم الشعب.

بدأ يصنع ذلك، فى الفترة التى يوم 8 مايو 1945.. يوم النصر كما أسماه الإنجليز.

www.anwarsadat.org